

من ملامح الوعي القومي في الشعر العربي النيجيري
خلال القرن الواحد والعشرين

يعقوب أرمياء
قسم اللغة العربية، كلية الآداب
والدراسات الإسلامية
جامعة بايرو، كنو نيجيريا
07030922807

مقالة تقدّم في المؤتمر الدولي لتكريم الأستاذ الدكتور محمد ثاني زهر الدين

(الإمام الأكبر لمدينة كنو نيجيريا)

نظّم المؤتمر قسم الدراسات الإسلامية والشريعة، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة
بايرو كنو نيجيريا

المنعقد في مايو عام 2015م

من ملامح الوعي القومي في الشعر العربي النيجيري
خلال القرن الواحد والعشرين

I

أ\ التوطئة:

جاء تحرك الباحث لهذا الموضوع لأسباب، منها: كون دراسة الوعي القومي من النواحي التي لم تلق عناية الباحثين النيجيريين، ثم الإقبال الزائد على دراسة الوعي القومي في العالم كله واهتمام كل أمة بقضاياها القومية و الربيع العربي في المشرق العربي ما هو إلا رد فعل لهذا الوعي، أضف إلى ذلك أن رصد تطلعات الشاعر النيجيري وطموحاته لا يتم إلا من خلال هذا المنظور. إن الوعي القومي الذي هو المحور الرئيس لهذه الورقة، يتجسّد من خلال الوعي الفكري في كل أمة، ويعتبر مرحلة من مراحل النهوض والرقى لدى الأفراد والجماعات، كما يعتبر عنصر كل نهضة ومصدر كل صحوة.

يسعى هذا البحث لأول مرة في الأدب النيجيري إلى عرض و دراسة ملامح الوعي القومي في الشعر العربي النيجيري خلال القرن الواحد والعشرين.

أما القرن الواحد والعشرون الذي هو الحد الزمني لهذا البحث فلأنه عصر الوعي القومي في العالم كله، فقد انتشر الوعي في صفوف الشعراء وأطلعوا على تراث الأمم الأخرى، واستفادوا من الحضارة الحديثة وما تحمله من أفكار لا سيما أفكار الثورة وما تدعوا إليه من مبادئ العدل والمساواة والحق، فقد قرءوا دواوين الشعر الحديث من شعراء (مدرسة البعث) كالبارودي وحافظ وشوقي، كما قرءوا نتاجات أدباء المهجر، وما منهم من أحد لم يخطر بباله بيت الشابي:

إذا الشعب يوما أراد الحياة * فلا بد أن يستجيب القدر

وتترأى إشكالية هذه المقالة من خلال التساؤلات الآتية "هل توجد تظاهرات قومية في الشعر العربي النيجيري؟ متى بدأ الوعي القومي في الشعر النيجيري؟ إلى أي مدى استطاع الشاعر

العربي النيجيري خلال القرن الواحد والعشرين أن يمثّل هذا الوعي القومي؟ كيف رسم الخطوط العريضة لتطلعات الشعب وطموحاته نحو الإنسانية والكمال.

هذه هي الإشكالية التي حاول المقال الإجابة عنها مستعينا بالمنهج الوصفي، تحت أربع نقاط هي: التوطئة، ثم المقدمة، ثم صلب المقال، والخاتمة. وفي صلب المقال نتعرض لملامح الوعي القومي في القرن الواحد والعشرين من خلال قصائد منتخبة من الشعري العربي النيجيري، وأخيرا الخاتمة التي تشمل النتائج والمقترحات.

ب\ المقدمة

أما (الوعي) حسب المعاجم العربية: فهو من: "حَفِظَ القلبَ الشيءَ" وعَيَ الشيءَ والحديثَ يَعِيهِ وَعِيَاءً وَأَوْعَاهَ حَفِظَهُ وَفَهِمَهُ وَقَبِلَهُ فهو واعٍ، وفلان أَوْعَى من فلان أي أَحْفَظُ وَأَفْهَمُ. (1) أما (القومية) فهو شعور الانتماء إلى أمة. (2) والوعي القومي هو: "وعي أو شعور شخص معين أو جماعة معينة بالانتماء إلى قومية أو أمة معينة، ضمن إطار شروط موضوعية، مثل الأصل المشترك، اللغة، الدين، التقاليد، الحضارة، التاريخ والأرض، أو ضمن الاهتمام بشروط تفكير ذاتية مثل؛ النظرة والتصور المشتركين تجاه العالم والقوانين والدولة ومفاهيم المجتمع) (3)

فنظرة الشاعر النيجيري وتصوره تجاه الدولة ومفاهيم المجتمع هو مناط الهدف من هذا المقال كما سبق، إذ وظيفة الشعر عند الشاعر النيجيري تتمثل في مساهمة رائقة وفنية ووجدانية في تحرير الواقع والخيال وتأسيس لرؤية كونية تسمو بالإنسان وترفع من قيمته شعورا وأخلاقا، وفي الوقت نفسه يحاول هذا الشعرُ السفرَ في كنه الأشياء وباطنها، ويحط رحاله في محطات التأمل في الحياة.

ولقد حقّق الشاعر النيجيري تقدما ملحوظا في مواجهة الواقع الثقافي والفكري والسياسي لأُمته، فلم يخل يوما بمسئوليته، يواصل بكل قواه كفاحه من أجل التسامح والحرية والعدل وتعزيز الوعي القومي بين الشعب، كما يعمل من طرف آخر على إثراء الإبداع الفني بالأعمال الجادة،

- علما منه بأن لا فائدة من قصيد لا يحرك ساكنا، ويبقى نصبا باردا معروضا في مجموع كلمات وأحرف معلقة على الهواء(5) لذا كان الوعي القومي عنده يتراعى من خلال الأساسيات التالية:
- 1- تصوير واقع الأمة والدعوة إلى اليقظة وبناء الهوية.
 - 2- الاعتزاز بماثر الأجداد وتأكيد دورهم في بناء المستقبل الحضاري.
 - 3- استنهاض الهمم والدعوة إلى التسامح والحرية والعدل.
- غير أن حضور هذه البنود في الشعر العربي النيجيري مرّ بمراحل متفاوتة ففي المرحلة الأولى؛ فترة ما قبل الاستعمار كان محيطاً بضباب الرؤية لأسباب ستوضح خلال النقطة القادمة، أما فترات ما بعد الاستعمار فقد كانت لديه تجليات واضحة المعالم والرؤية.

ج\ الوعي القومي لدى الشاعر النيجيري قبل القرن الواحد والعشرين

كان حضور الوعي القومي غير واضح عند الشعب النيجيري خلال فترات ما قبل الاستعمار كون النزعة القومية لم تتطور لديهم، وإنما بدأت إرهابات ظهورها في فترة الخلافة الفودوية في منتصف القرن التاسع عشر(6)، حين شهدت الفترة حملة توعوية قام بها الشيخ عثمان وأساتذته وتلامذته عن طريق الوعظ والإرشاد لتوجيه الحياة الدينية والاجتماعية ومحو الأمية ومحاربة العوائد الذميمة، أضف إلى ذلك الثورة على ملوك بلاد الهوسا لما اتسموا به من جفاء وتكبّر على الرعية وأهل النصيحة. إذا فشعراء الدولة الفودوية كانوا من طليعة دعاة الوعي القومي في هذه البلاد.

وبدخول المستعمر إلى البلاد عام(1903م) دعت عوامل عدة منها قومية وغير قومية إلى الصحوة فمن ثمّ تحوّل الوعي القومي لدى الشعب إلى الدعوة للانتفاضة والثورة على المستعمر الذي دخل البلاد واستعبد الرعيّة ونهب أموالها. فهذه المرحلة يمكن أن يطلق عليها مرحلة بداية الوعي القومي بمفهومه الحديث لدى الشعب النيجيري.

ومنذ تلك الفترة تعالت صيحة الشعب للاستقلال، وتقدّمت نخبة من الصفوة المستنيرين لرفع لواء هذه الحركة تحت شعارات وجمعيات مختلفة كلها تدعو إلى الوعي القومي وتوحيد الكلمة ضد

قوى الاستعمار البريطاني، وهكذا ظلّ التحرك إلى أن رُفع العلم النيجيري إيدانا بالاستقلال في أكتوبر 1960م (7).

أما الشاعر النيجيري فلم يكن منعزلاً عن هذه التحركات، كيف؟ وقد كان الشعراء رسل الحقائق وأرباب الفكر في كل أمة ظهوراً فيها (8)، فقد شارك الشعراء وحرّضوا الشعب نحو التحرّر والاستقلال، ومما يمثل هذا الإباء وهذه المقاومة قصيدة وزير سوكونتو عبد القادر بن محمد التي يصور الحياة في عصره، ويسخر من المستعمر الدخيل الذي أصبحت السلطة الحقيقية في يده، ويحكم بالاستبداد تحت ستار الحكم غير المباشر (9):

عسا الليل حتى اصطاد ببرّ وثعلب	وناوشت الآساد ضبّ وأرنب
تفرّ أفاعي الأرض من خوف ضفدع	وتزرع هند في الصباح وزنب
وأبصرت أقواماً مع الليل أنزلوا	أهاليهم في الدشت والظبي تذهب

وتتفق هذه القصيدة مع تائية الشيخ أحمد ينمّا الإلوري التي كتبها في وصف الحكومة الاستعمارية والتنديد بخطاهم والطعن في حركاتهم: (10)

أعوذ برب العرش من شر دهرنا	*	وشر الذين يفعلون بقوة
هم الآمرون بالبناء وهدمه	*	وكنس فناء الدار في كل ساعة
جلوساً وراء الحصن صاح بعنوة	*	بتقدير ربي قد رضينا بقدرة

ومثلها (دالية) وزير جنيد التي يصوّر فيها المملكة العثمانية وقد لوثتها أيدي المستعمرين: (11)

أقوت فلسست ترى بها أحدا سوى الـ	حرباء لائذة على الأعواد
قامت تخاطبني فعزّ كلامها	فلكم سكوت معلن بمرادي
وتدير عينيها تشير بـذاك دو	ر الدهر غير ما ترى في النادي
وتلونت ففهمت منه تلون الـ	أحوال في الدنيا فعز. رقاوي
لم لا أنادي في الطلول وهذه الـ	أطيّار فوق غصونهن شواوي
تشدو وترقص في حلي أرياشها	رقص القيّان بحلة الأعياد
أسفا على طلل يمازحني متى	ناديت خالفني على المعتاد

وبعد الاستقلال أخذ الوعي القومي لدى الشاعر النيجيري نمطا متغيرا حين شهد البلاد صنوفا من الحكم الاستبدادي والاضطهاد السياسي الذي كان يمارسه الحكم العسكري والمدني في البلاد، فعمل الشعب على مقاومة مظاهر فساد الساسة وإصلاح الرعية بالقلم حيناً وباللسان تارة. وخير مثال على هذه الحركة أو الدعوة التوعوية بائية الأستاذ شيت في توجيه الشباب النيجيريين والدعوة إلى الثورة وجهاد المفسدين:

أخي هل رأيت اضطراب الأمور	علينا نتيجة ظلم الكلاب
لصوص كبار تولوا الزمام	زمام أمورك، أنت المصاب
دماؤك في كل حين نهاب	بها يملكون عظيم الركاب
حساباتهم من حقوقك صاح	فبئس الحساب بشر اكتساب
فأضحت بلادك فسقا وجورا	وكذبا وغدرا - مكان الحزاب
شباب بلادي هيا نشر.	ونحم البلاد لترك استلاب
فلاحظ وخطط وراقب، وباغت	وقاوم عداك، وكن كالغراب
شباب بلادي عليك بعدل	وعزم وحزم وخلق الكتاب
فعش في الحياة كريما مهيبا	ومت موة العز يا صاح شاب
شباب بلادي لنيل الأمان	فأنت المعد وأنت الحراب
فأنت شهيد إذا مت فيما	يقيم العدالة دوما تهاب
فسر. قد بدا لي على الأفق نور	يذل قريبا جميع الصعاب
ألا أنبؤني، ولو كنت ميتا	بنجحي، إذا راح سم الغضاب(12)

ونلمس الدعوة نفسها بل أشد غُنفًا وإحساسًا بتردي الوضع السياسي في ميمية الحسن بن أحمد النفاوي، يشكو فيها رؤساء الدولة النيجيرية، إذ يوجّه خطابه الشعري إلى العلماء ثم يعقد أمله عليهم في إصلاح ما فسدت ساسة السوء، فيقول:

تعالوا أيُّها العلماء قوموا	إلى إصلاح ما فسد اللُّثامُ
أرى نيجيريا تبكي الخسارا	أيا أهل البصائر لا تناموا
ويرأسها الجبابرة الطُّغاة	بقوتهم وضاع لهم نظام
لقد سرقوا مَعَانِمَنَا وما لا	وقد شدُّوا على الصلحاء قُومُوا
ونور الكهرباء لنا ولكن	وليس يُفيدنا إن جاء الظلام
لنا نفطٌ كموج بغير نفع	ولكن قد يَفيد به الأنامُ
معادن أرضنا تكفي المعاشا	لأهل الوطن هم بالغدر داموا
ومال بلادنا بدلوه لعبا	كمثل رياضة نحن نيام
وفي أيديهم البندوق شرا	على من قال حقاً له حمام
ويَقْتُل بعضنا للمال بعضاً	وليس لنا وراء ولا أمام
وأين تَقَابَلَيُوا كذا السِّدُونَا	وأين مُرْتَضَى بطلٌ همام
لقد سفكوا دماءهم بظلم	بلا ذنب لهم بالحق قاموا
وكم أمثالهم قُتِلُوا بكيـد	من الأبرار قتلهم حرام
ويسأل دمهم في اليوم منا	بأي ذنب؟ ليس لنا الوئام(13)

هكذا تتراءى صورة البلاد من خلال قصائد شعراء هذه الفترة، فإنهم قد أحسُّوا بتردي الوضع، فعملوا على إصلاحه بلسانهم.

د\ من ملامح الوعي القومي في الشعر العربي النيجيري خلال القرن الواحد والعشرين.

إن للوعي القومي لدى الشاعر النيجيري خلال القرن بواعث و أبعاد فكرية وثقافية قد تختلف عما قبلها، فقد شهد البلاد في أواخر القرن العشرين التحوُّل السياسي من النظام العسكري إلى النظام الديمقراطي حيث جرت انتخابات في البلاد منذ عام 1999م(14) وصارت السلطة مدنيّة خالصة للشعب، غير أن التحوُّل إلى الحكم الديمقراطي أو المدني خيَّب

ظنَّ الشعب وتطلعاته نحو المنظومة الاجتماعية والاقتصادية والتربوية والصحيّة. فمن الناحية الاجتماعية اشتدّت العصبية القبلية بين مختلف قبائل نيجيريا بصورة واضحة، كما اشتدت الخلافات الدينية بين المسلمين والمسيحيين مما أدى إلى معارك وشجارات بين الطرفين، أضف إلى ذلك ظهور التطرف الديني بين المسلمين أنفسهم و ظهور جماعة (بوكو حرام) خير مثال على هذا(15)، أما المنظومة الاقتصادية فمعلوم أن دولة نيجيريا دولة غنية تزخر بمصادر اقتصادية متنوعة أهمها النفط الذي يمثل العمود الفقري لاقتصاد البلاد، ومع هذا يعاني حوالي 70% من سكان نيجيريا من فقر مدقع وتزداد كثافة الشحاذين في كل يوم، أما الجانب التربوي فقد شهد التعليم في جميع المستويات تراجعاً واضحاً من الجانب الأكاديمي والتكنيكي فالوضع غير مستقر، مما أدى إلى تزايد تسرب أبناء نيجيريا إلى الدول الخارجية للتعليم في كل سنة.

هذه العوامل تعتبر من البواعث الكبرى للوعي القومي والتي دفعت الأدباء - بعد اطلاعهم على تجارب أمم مختلفة - إلى البحث عن طريق للخلاص من الواقع المر، من الواقع الإنساني المتخلف، فكان من الطبيعي أن يسفر كل شاعر عن وجهة نظر تتناسب مع بيئته وثقافته ومفاهيمه، من أجل هذا جاءت معظم قصائد شعراء جيل القرن الواحد والعشرين مشحونة وملطخة بهذا الوعي، ومما يدل على اشتراكهم في المحنة والشعور بالكارثة توارد خاطرهم في اختيار عنوان قصائدهم، ومعلوم أن للعنوان أهمية في تحديد دلالة النص وشعريته.

ولتمثيل هذه الظاهرة جاء اختيار الباحث لثلاثة من الشعراء النيجيريين من أبناء القرن الواحد والعشرين، الأول منهم هو الشاعر محمد مجتبي من مدينة زاريا في قصيدة له بعنوان "وطني" ثم الشاعر علي مصطفى لون في قصيدة له تحمل عنوان (وطني) وأخيراً الشاعر عمر كبير الكنوي في قصيدته المسمّى "شعي"، واختيارنا لهؤلاء الشعراء لا يعني بأي حال عدم وجود شعراء آخرين ذوي كفاءة شعرية ووعي قومي، فإن نيجيريا رُزقت العديد من الشعراء الموهوبين، وإنما اخترنا هؤلاء الثلاثة لتوفّر نصوصهم الشعرية في الموضوع بين أيدينا، وهي كلها نصوص جديدة تتصل بالعصر وهمومه.

أما الشاعر محمد مجتبى زاريا (16) فقد كتب قصيدته "وطني" بهذا التاريخ 18، ديسمبر 2014م التي تقع في ستة وعشرين بيتاً، والعنوان لافت للنظر لما يحمل من دلالات تساعد على الكشف عن المعنى المركزي الذي تحوم حوله القصيدة.

يفتح الشاعر القصيدة بأسلوب خطابي مملوءً بسخرية لاذعة، يصوّر من خلاله المفارقة الكبيرة بين الموارد الاقتصادية للدولة ومصادر دخلها المتنوعة و بين الوضع الاقتصادي الذي تزدرى فيه الأمة، فبدأ الشاعر متكرراً القول بوجود هذه الثروة المعدنية الهائلة التي تزخر بها البلاد. وقد غطّى الشاعر في هذا الأبيات الثمانية الأولى من القصيدة.

قالوا توقّف، وارْتَشِفْ من نحره	تنسى الفرات إن احتسيت بقطره
الصّفّو لوّنْ شرايه، والخلّو طعم	مذاقه، يا ما أحيلى سحره
وطنٌ يَحْتَيُّ لؤلؤا وزبردجا	ويضج بالبتول داخل قعره
مُخَصَّرَة أنحاؤه، والدّانِيا	ت قطوفه في بره أو بحره
عرّس به يا سرّه ! يا سحره	كل الجمال يصاغ من تنوره
عرّس ومَسَّ ثُرّائه، وأنزل ودُق	من نحره، ثم اقتبس من نوره
وطنٌ من الفردوس شُقَّ ربيعُه	فكأن خضرة أرضه من بيره
قالوا.. وقالوا... ما يشاء لسأهم	وصفا ... وإطراء ... ونشر عبيره
قُلْتُ: اهدؤوا، لا تُسكروني بالكلّا	م، وتسحروني في البيان بزوره

أما الأبيات من 9 - 20 فتمثّل صلب القصيدة وفيها صوّر الشاعر الوضع المعيشي للشعب النيجيري تحت الأوصاف الرئيسة التالية:

- 1- نبذ الأيتام وتشريدهم
- 2- فُشُّ الجهل والأميّة.
- 3- تردّي الوضع الأمني، وكثرة النهب وقطع الطريق وغصب العذارى.
- 4- غياب العدالة بين الرؤساء
- 5- تفاقم أمر الإرهاب وخطورته.

نيجيريا وطني، ومهد طفولتي
لا تُنكروا ما تعرفون، وتُغمضوا
نيجيريا قَرَفَةُ الأيتام، مأوى
نُهبٌ هنا، قطع الطريق هناك أو
دمع اليتيم على الشوارع هامز
الأبرياء بأرضنا قوت الرئيس
والجور في وطني له معنى البرا
" وطنٌ وحق الله لم أر قبله
أو كُلُّما اجتمع الرجال بمشهد
أو كُلُّما لاح الصباح أَفْقَتْ عن
أو كُلُّما نطقت عجوز مدينتي
يا أَمْنَا - قلبي عليك - بَحْلَدِي
دمعات عينك شُعْلَةٌ ذكاء في

والأمر لا ينبغي مثل خبيره
عما ترون يعاثر فوق ظهوره
الجهل والإعدام، بعد فجوره
غضب العذاري، وانتهاك خدوره
ودم الشهيد يضيق من قطميره
يسك منهم عملة لصغيره
ة والمدامع حمرة لأميره
وطنا يعيث بنوه في تدميره
ثناهم الإرهاب في تفجير
طعنات أهلي وانفجار سعيره
لعت أمير القوم بعد وزيره
أنت الوقود الجمر بين ضميره
قلب المواطن طفله وكبيره

أما الأبيات من 21 - 24 فهي الخاتمة، وفيها يوجّه الشاعر الدعوة للصحة والثورة ضد
رؤساء السوء، حتى يسود الأمن والعدل والمساواة، وحتى تعود الحياة إلى مسارها الطبيعي.

من هامش الأحداث شعبٌ نائم
شعبٌ لو أنَّ بقلبه عقلاً لَرَدَّ
يا شعبُ يا أمل اليتيم وأُمّه
فعليك وحدك عبءُ أهلك عالق

ما كان يسمع منه غير شخير
الندل حفرتة يساق كعيره
أوقف غيوم الدمع قبل خريه
حتى ترد الإبتسام لحوره

وتتضح رؤية الشاعر نحو الوطن ومفهوم الانتماء القومي في البيت العاشر قوله:
نيجيريا وطني، ومهد طفولتي
والأمر لا ينبغي مثل خبيره

وتتراءى صورٌ أخرى تسير على نفس الدرب التي سارت عليه قصيدة محمد مجتبي وتحمل
نفس عنوانها، تلك هي قصيدة (وطني) للشاعر علي مصطفى لون، (17) كتبها في عام

2013م والقصيدة كأختها تجسّد النزعة القومية عند الشاعر وتصور الحالة التي آل إليه أمر الأمة، وبالتالي نستطيع قراءة هذه القصيدة من بين مقاطعها الثلاثة: مقطع المقدمة ومقطع صلب القصيدة، ثم مقطع الخاتمة، على النحو التالي، راعين ما لكل مقطع من دور في بناء الهيكل الفكري للقصيدة.

أما مقطع المقدمة فيبدأ من البيت 1-10، أراد الشاعر فيه إعطاء القارئ صورة تجاه شعوره بمأساة قومه، فهو داء يُقْبِتُ أمعاءه فتّاً، وتتمادى كوارثه كنزول المطر الهطال، مما أورثه ضعفاً ووهناً لا أمل له بعدهما.

ومن الذي يسعى ليشفي دائي؟	من لي في البرية يستجيب ندائي؟
ريحي، وما يسطك في أحشائي؟	قل لي برّك كيف أنجو من تبا
مطر، تصبّب حالة استسقاء؟	وإلى متى تجري الدموع كأنها
ركني الشديد، وقطعت أشلائي	أرقى تتابع، والنواب قوّضت

ومن البيت الخامس إلى العاشر تُعبّر النزعة القومية عند الشاعر فوراً، فيذكر فضل وطنه عليه وينوّه بانتمائيه وحبّه ووفائه الخالص لوطنه وأنه لن يتراجع ساعة عن الدفاع والدود عنه مهما اشتدّت الأوضاع وتعقّدت الأمور:

وطنٌ يظللّني على الغبراء	أسفي على وطني الذي ما مثله
ما ناحت الأطيار في الأرجاء	وطني الذي لن أستريح لغيره
خوف الرّدى، وفديته بدمائي	أحبته حبّ الغريق نجائه
عدد من السيّاح والغُبراء	يغشاه من شرق البلاد وغربها
ضيفاً، ولا يرميه باستهزاء	لا يجتويه الشخص حين يحلّه
لو عاث فيه ونال منه سوائي	أنا لن أغمّض جفنتي وأغضّها

أما الأبيات من 11 - 27، فهي صلب القصيدة، والتي تشتمل على تصوير الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي المتدهور حسب نظراته، فالرؤساء ذوو الكفاءة والعدالة قد ذهبوا، فخلف من بعدهم خلف أضاعوا كل المقدّسات وهتكوا الأعراض ونهبوا أموال الدولة وحرّموا

الشعب حقوقه وواجباته من التعليم والصحة والأمن والسكن والرعاية، واستأثروا أموال الدولة لأنفسهم وأهاليهم.

جارت على وطني الطغاة وأخلقت
طمسوا ابتسامته وساقوا شعبه
شعباً أشم من الجبال وعندما
مقتوا عليه وخلفوا أطفاله
بخسوا على كل المواطن حقه
واستهلكوا كل الكنوز وسيطروا
وبنوا قصوراً جاوزت قنن الدرى
يهوون أن يطؤوا بأخمص نعلهم
ويُسارعون إلى أوربا لينشؤوا الـ
صم إذا صرخ الفتى مستنجدا
لا يعطفون على البلاد إذا اشتكت
إن جئتهم طلباً لحقك هددوا
كم من فقير مات جوعاً دون أن
ولكم أناس يكدحون وما لهم
ولربما كبر الصغير وما له
ظلم لو انتشرت شرارة ناره
ولو استطاعوا أوقفوا النفس الذي

ديباختيه قساوة الرؤساء
نحو الحضيض بخدعة ودهاء
حكموا، غدا في هوة البأساء
يتخبطون تخبط العشواء
بخسا، وخلوا عنه دون ولاء
قهراً، على الأموال والأشياء
وتزوجوا بالغادة الحسناء
سيارة بلغت إلى الجوزاء
شركات، يا سفاهة وغباء!
أذن إن استمعوا إلى الإطراء
وقلوبهم كالصخرة الصماء
بالقتل أو بالسجن والإيذاء
يحظي بمن سيمده بغذاء
فلس، فكيف بمسكن الإيواء
علم، يميزه عن الجهلاء
في الأرض ما استبقت على الأشياء
نشتمه في بكرة ومساء

ويأتي المقطع الأخير، مقطع الخاتمة ليُبرز بروق الأمل في نفس كل مستضعف مظلوم، ليُبرز فيه أمل النصر والغلبة والسعادة:

يا قوم لا تيأسوا من روح من
إننا سننصر كل من يخفى بنا
وإذا تفاقت الأمور فإننا
يا من يُجير ولا يُجار، أعزنا

أوحى، وأنزل سورة (الإسراء)
ونسد خلتنا من الزعماء
ندعوا الإله بأحسن الأسماء
واسر بستر عورة الفقراء (18)

أما القصيدة الأخيرة التي تمَّ تحرُّكنا إليها هي قصيدة (شعبي) للشاعر عمر كبير (19)، أنشأها عام 2012م ورغم أن عنوانها يختلف شيئاً يسيراً عن عنواني القصيدتين الأخريين اللتان تمَّت معالجتهما، إلا أن النظرة الدلالية الحصيفة توحى بأن العناوين كلها يمكن أن تنصبَّ في خانة دلالية واحدة هي " النزعة القومية " أو " الوعي القومي " كما اصطلح عليه البحث.

و قصيدة " شعبي " امتزجت فيها عاطفة الفتوة مع روح التطلع نحو المستقبل والتبرُّم من الواقع المعيشي المتردّي للشعب النيجيري، فالدمار والتفجيرات والشعوذة ونهب أموال الدولة وفساد الساسة وأكل الربا والغش والزنا واللواط ووآد وإجهاض وقمار وتبرج كل أولئك صور قائمة خيَّمت بأجوائها على المجتمع النيجيري.

وبالتالي يمكننا تحليل أهم أفكار القصيدة على النحو التالي:

من البيت 1-3 أراد الشاعر أن يهيئ الأجواء للقارئ للنفوذ به إلى الفكرة الرئيسة من القصيدة فقد استغل الشاعر الطاقات الأسلوبية الكامنة في أسلوب الاستفهام الذي أراد به زرع التهويل والفرع والحيرة والقلق ثم يتساءل عن زعيم يقود الشعب إلى برِّ الأمان. فقد أحسن الشاعر فيما يُصطلح عليه في النقد القديم بـ "حسن المطلع":

أجيبوا أجيبوا أيكم يتفضَّل	إلى أين هذا الشعب يا قوم أسأل
لعل فؤادي بعد ذلك يعقل	أجيبوا أجيبوا أنِّي متحيرٌ
علاها الصَّدا... من لي إلى من يُصقِّل	هلمُّوا أجيبوا غاض فهمي، وفطنتي

ومن البيت 4-7 يرسم الشاعر مصير هذه الأمة إذا تمادت في غيِّها وهواها، فمصيرها كما يراه إلى الانحيار والهبوط والانحطاط لا إلى النهضة والرقى والتطور وقد قاب قوسين أو أدنى، ثم يدعو الشاعر أولي الأمر والنهى إلى تدارك الوضع وخطورته.

إلى البور؟ قل لي أو إلى التار تسفُل	إلى أوهد الدركات يا شعب تهبط ؟
إلى أبشع التاريخ يا شعب تُوغِل!	إلى العيش؟ لالا لا إلى الموت ترغب
لديك صبايا في البلى تتَمَلَّمُلُ	ألا أيُّها الشعب المعرَّض لا تُمُتْ
إذا غبَّت من ذا عيشها يتكفَّل	ألا أيُّها الشعب المعاني فلا تَغِبْ

ثم من البيت 8 - 20 يصور الشاعر الانحراف في الأنظمة الإدارية النيجيرية، يبدأ بالوضع الأمني وتدهوره بحيث تزهق أرواح الأبرياء في كل آونة فالدولة كلها دمار وتفجيرات، يزرع الرعب في نفوس المواطنين، كما صوّر الشاعر الانحطاط الأخلاقي من بغاء وسحر واحتقار للأديان السماوية وزنا ولواط وتعاطي الخمر ووآد البنين وإجهاض الحمل والتبرج والعقوق والغيبة والنميمة والنفاق، وغيرها، كما صوّر الشاعر الوضع الاقتصادي النيجيري الذي يتساقط أنفوسا بالتهب والرشوة وأكل الربا والغش والخدعة. هذه أهم مظاهر الانحراف الأخلاقي كما تتراءى للشاعر.

بلادي يعاني من رزايا فظيعة	إلى الله أشكو عنده المَحْوَل
إبادة أرواح، دمار، رصاصه	قنابل تفجير، قلوب تُزلزل
بغاء وسحر واحتقار ديانة	وقلة إيمان ذنوب تُسلسل
ونهب لأرزاق البلاد، عمالة	وساسة إفساد، وجور، ومبخل
حماة الربا، سحت وغش وخدعة	واقطاع أرحام وذنب مثقل
زنا، لواط واختلاط، وقاحة	إقامة مأخور، خمور تُثمل
ووآد وإجهاذ وقتل أجنّة،	وطعن لأنساب عداة مُثمل
قمار، شدوذ، نردشير، بداءة	تبرج إفتان، نكاح محلل
عقوق فغمط واغتصاب صبيّة	وغيبة أعراض ... غناء مطبل
إشاعة بُهتانٍ ولمز وفرية	وايذاء جيران ... كذلك يُفعل
أطبّاء غيَّات وتجار عينة	أئمة شيطان، حرام يحلل
وكفر وإلحاد، نفاق، تزندق	فوالله هذا العيش لا يُتحمل

أما البيت 21 - 36 ففيه يقترح الشاعر الحلول الناجعة لهذه الأوضاع المهلكة فالندم والتوبة النصوح والاستغفار والاعتصام وتوحيد الكلمة، ثم التمسك بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، هي الأصول المنجيات من التردّي والانحراف.

ومن كان في هذا وذاك ولم يتب	فأني له العيش الرغيذ المسهل
فعودوا إلى الإسلام عودة نادم	يُمّد لكم أمن ورزق منزل
ألا أيُّ هذا الشعب لو كنت واعظاً	تلوت لك الآيات ثم أرّتل

وقلتُ كما قال النذيرُ محدّراً:
أنبؤوا إلى الغفّار واستغفروهُ من
إليه ففَرُّوا لا يَمَلُّ إلهكم
قدِيرٌ، قويٌّ، قاهرٌ، متكبّرٌ
وقلتُ كما قال الخطيبُ مُرَبِّياً:
وهديني نبيّ الله أوْسطُ مسلكٍ
وأضوئاً نبراساً وأيسرَ غايةً
حياض رسولِ الله أعذبُ مَوردٍ
عليكم بهدي المصطفى كلَّ لحظةٍ
ولا تبتغوا سُبُل الضلالة والهُوى
دَعُوا الشِرْكَ والإحداث في الدِّين جملةً
ومن لم يغيّرْ ما عليه ولم يَتُبْ
ولا بدَّ أن يَحْيِي حياةً مذلّةً

فتوبوا إلى البارِي ... إليه تَبَتَّلُوا
جميع خطاياكم ... فذلك أجمل
جوادٌ، كريمٌ، باسطٌ ... فتأملُوا
سَلُوهُ سَلُوهُ الغوثَ دُوماً تَبَهَّلُوا
عليكم بحبل الله ... أَمْتُنْ أَفْتَلْ
وأقوّم منهاج وأجلى وأعدل
أكثرُ إيناساً وأدنى وأسهل
وأسيغُ إرواءٍ وأصفى وأعسل
وعضُّوا عليها بالنواجذ واعملوا
فهديني رسول الله أهدى وأكمل
فإنَّ انتقام الله في ذاك أهولُ
فإنَّ نظامَ الله لا يَتَبَدَّلُ
وخوفٌ وذعرٌ ... في الشقاء بُؤْلُولُ

ويختتم الشاعر بيت هو "بيت القصيد" إذ ينمّي البيت عن شعور صادق ووطنية صادقة
من مواطن صالح، لا يفارق وطنه مهما اشتدت الأوضاع وتعطلت السبل بل يظلّ صامدا صمود
أهل بدر، لا تحركه الرياح ولا تقلعه العواصف العاصفة.
أحبُّك يا شعبي أحبُّك موطناً
ولست - وإن ضاع الأمان - أبَدُّ (20)

الخاتمة:

إن تتبّعنا ملامح الوعي القومي في الشعر العربي النيجيري من خلال هذه المقالة أسفر عن
نتائج أهمها:

1- أن الشاعر النيجيري كغيره من الشعراء كان ذا وعي قومي منذ فترة مبكرة من حياة أمته.

- 2- أن معالم الوعي القومي لدى الشاعر النيجيري لم تتضح إلا بعد فترة الاستعمار، حين توخّدت صفوف الشعب لمحاربة المستعمر والبحث عن التحرُّر والاستقلال.
- 3- أن الوعي القومي لدى الشاعر النيجيري بعد الاستقلال أخذ منحى جديداً عمياً كان عليه في فترة الاستعمار وقبله.
- 4- أن الوعي القومي لدى الشاعر النيجيري بعد الاستقلال يتراءى من خلال المعالم الرئيسة التالية:
 - تصوير واقع الأمة والدعوة إلى اليقظة وبناء الهوية.
 - الاعتزاز بمآثر الأجداد وتأكيد دورهم في بناء المستقبل الحضاري.
 - استنهاض الهمم والدعوة إلى التسامح والحرية والعدل.
- 5- أن الأحداث السياسية والاقتصادية والأمنية في ظل حكومة الرئيس الحالي (غودُلُوكْ جُونْتَن) كان لها حضور سلبي في معظم النصوص التي حلّلناها في هذه المقالة.
- 6- أن الثورة الانتخابية أو التحوُّل السياسي الذي شهده الحكم السياسي في هذه البلاد في عام 2015م يُعتبر من نتائج الوعي القومي لدى الشعب، ولا شكَّ أن شعراء نيجيريا يمثلون منصب الريادة فيه.
- 7- يقترح الباحث لشعراء الجيل الحاضر والقادم الاهتمام الزائد بقضايا الوطن ونشر الوعي القومي بين المواطنين.

وأخيراً فإن الوعي القومي لا شكَّ عنصر أساسي في دراسة أدب وفكر كل أمة، ووجود الأدب القومي لدى كل الأمم خير دليل على أهميته وفوائده.

هوامش البحث ومراجعته:

- (1) ابن منظور. لسان العرب، مادة (وعى)، المكتبة الشاملة الإصدار الثالث، الكتروني غير موافق للمطبوع.

- (2) فضلية الدكتور محمد راتب النابلسي، مفهوم القومية: النزعة القومية في الأدب العربي، موسوعة النابلسي، المكتبة المرئية، 13 \ 10 \ 1982م
- (3) زهدي الداوودي، مفهوم الوعي القومي: نشوء الوعي القومي وتطوره عند الكورد، 26 \ 10 \ 2011م موقع "الحوار المتمدن" www.m.ahewar.org/s.asp?aid=281211&t=0
- (4) ديوان أبي قاسم الشابي إلكتروني غير موافق للمطبوع، المكتبة الشاملة، الإصدار الثالث.
- (5) بابر قدماري (الدكتور)، الدولة النيجيرية: دار الأمة لوكالة المطبوعات، الطبعة الأولى، 2011م ص 57-59
- (6) المرجع نفسه، ص 10
- (7) المرجع نفسه، ص 14
- (8) العقاد والمازني، الديوان في الأدب والنقد، ص 8
- (9) أبوبكر، علي (الدكتور)، الثقافة العربية في نيجيريا، ص 339
- (10) الثقافي، عثمان عبد السلام محمد، شعر الحماسة الإسلامية في الديار النيجيرية عبر التاريخ، مجلة فائز للدراسات الإنسانية، كلية الآداب والدراسات الإسلامية، جامعة بايروكونونيجيريا، الجزء الخامس، العدد الثاني، يوليو، 2011م، ص 217
- (11) مقري، إبراهيم أحمد، من أعلام الشعر العربي خلال القرن العشرين، دار العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2014م ص 16
- (12) عثمان عبد السلام محمد، تاريخ الأدب العربي في مدينة إلورن، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 2009م ص 76
- (13) المرجع نفسه والصفحة.
- (14) بابر قدماري (الدكتور)، الدولة النيجيرية: مرجع سابق، ص 16
- (15) للزيادة في هذا يُقرأ مقالة بعنوان: "جماعة بوكو حرام" نشأتها ومبادئها وأعمالها في نيجيريا، لدكتور أحمد مرتضى، مجلة ثقافية، فصيلة محكمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية، ربيع الآخر - جمادى الآخرة 1433هـ - أبريل - يونيو 2012م
- (16) شاعر شاب وُلد في مدينة زاريا (1988) وبها تلقى مبادئ التعليم إلى أن سافر إلى جامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية، وتخرّج فيها (2004) بشهادة التخصص في اللغة العربية، وكانت لديه موهبة شعرية فذة، وله العديد من القصائد في مختلف الموضوعات، وقد تقلّد إمارة الشعر لعام 2014م في الاحتفال

- بمناسبات اليوم العالمي للغة العربية الذي أقامه قسم اللغة العربية بجامعة بايرو مع التعاون بالسفارة المصرية النيجيرية ومعهد إبراهيم الطيب لتدريب معلمي اللغة العربية.
- (17) الشاعر علي مصطفى لون لم نحصل على ترجمته.
- (18) نسخة مطبوعة، حصلت عليها عن طريق صديقي أمين يهوذا زاريا.
- (19) هو عمر كبير بن ثاني بن عبدالله من مواليد 1984م كانت نشأته وتعاليمه بمدينة كنو النيجيرية، كان لديه ميل كبير لقراءة الأدب العربي وملحه وطوائفه. شقَّ الشعرُ طريقه إليه في عام 2008م حين كتب أولى قصيدة له في مدح صديق له. وقد ظهرت كفاءته الشعرية حين شارك في المسابقة الشعرية التي نظمها القسم العربي بجامعة بايرو كنو في عام 2013م وبها توجَّ أميرا للشعراء. للشاعر كبير عمر عديد من القصائد في مختلف الموضوعات، ويمتاز شعره بالرفقة والتلوين الأسلوبى واستحضار النصوص التراثية والدينية، بالإضافة إلى الطموح المميت ونشوة الفتوة.
- (20) تحصَّل الباحث على نسخة القصيدة من الشاعر.